

لَكَ يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ يَا اللَّهُ.. كَلَّتِ السَّنَةُ بِجُودِكَ

(Arabic – Praise awaits You. You crown the year with your bounty.)

أحبائي.. حديثنا اليومَ موضوعُهُ: لك يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ يَا اللَّهُ.. كَلَّتِ السَّنَةُ بِجُودِكَ

ومن سفر المزامير نقرأ الجزء الأول من العدد الأول والعدد الحادي عشر من المزمور الخامس والستين:

" لك يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ يَا اللَّهُ.. كَلَّتِ السَّنَةُ بِجُودِكَ وَأَثَارُكَ تَقَطَّرُ دَسْمًا"^١.

إن الاحتفال بتوابع عام مَضَى واستقبال عام جديد يَهْتَمُّ به مُعْظَمُ النَّاسِ. وَهُنَاكَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْأَسْلُوبِ الَّذِي يَحْتَفِلُ بِهِ أَوْلَادُ الْعَالَمِ وَالْأَسْلُوبِ الَّذِي بِهِ يَحْتَفِلُ أَوْلَادُ اللَّهِ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَتَصَاعَدُ فِيهِ مِنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ تَسَابِيحُ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ وَالتَّمَجِيدِ لِجَلَالِهِ. وَتَتَصَاعَدُ أَيْضًا أَعْمَالُ الشَّرِّ وَالْمُجُونِ مِنْ أَوْلَادِ مَمْلَكَةِ الظُّلْمَةِ. وَمِنْ الْمُعْتَادِ أَنْ تَظْهَرَ كُلَّ عَامٍ عَلَى شَائِئَةِ التَّلْفِيزِيُونِ صُورًا لِلشُّعُوبِ الْمُخْتَلَفَةِ وَهِيَ تَحْتَفِلُ بِتِلْكَ الْمُنَاسِبَةِ. كُلُّ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَعَادَاتِهِ. وَقَدْ عَبَّرَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي رُومِيَةِ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ عَنْ سُلُوكِ أَوْلَادِ الْعَالَمِ فِي بَقَاعِ الدُّنْيَا بِقَوْلِهِ: " وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُقُوا اللَّهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى ذَهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لَا يَلِيقُ. الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللَّهِ أَنْ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ لَا يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يُسْرُونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ"^٢.

وَفِي أَمَاكِنَ امْتَلَأَتْ بِالزِّيْنَاتِ وَالْأَضْوَاءِ الَّتِي تَخْطِفُ الْأَبْصَارَ. يَجْتَمِعُ أَوْلَادُ الظُّلْمَةِ قَبْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ فِي أَرْيَافِهِمْ الخَلِيعَةِ. وَعِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ يُطْفِئُونَ الْأَنْوَارَ ثُمَّ يَشْعَلُونَهَا. وَهُمْ يَصِيحُونَ صَيِّحَاتٍ تَصُمُّ الْأَذَانَ. ثُمَّ يَنْدِمُونَ فِي الرَّقْصِ عَلَى أَنْعَامِ الْمَوْسِيقَى وَالْأَغَانِي الْمُبْتَدَلَةِ. وَيَحْتَسُونَ الْحَمْرَ بِشَرَاهَةِ مِنْ زُجَاجَاتٍ تَحْدِثُ فَرْقَعَاتٍ تَطْيِبُ لَهُمْ. وَيَسْتَمِرُّونَ فِي احْتِفَالِهِمْ حَتَّى مَطْلِعِ الْفَجْرِ. وَعِنْدَ عَوْدَتِهِمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ يَبْدَأُ نَشَاطَ رِجَالِ الْبُولِيسِ لِحِمَايَةِ الْأَبْرِيَاءِ مِنْ مَحْمُورِينَ فَقَدُوا صَوَابَهُمْ. وَيُسَارِعُ رِجَالُ الْإِنْقَاذِ وَالْإِسْعَافِ لِمُوَاجَهَةِ الْمَاسِي الْمُرُوعَةِ فِي لَيْلَةٍ لَعِبَتْ فِيهَا أَجْنَادُ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ أَشْرَ أَدْوَارَهَا. وَنَقَذَتْ مَخْطَطًا أَعَدَتْهُ لِإِسْقَاطِ أَكْثَرِ عَدَدٍ مِنَ الضَّحَايَا الْمَحْدُوعِينَ.^٣

إِنَّ الْأَحْصَاءَاتِ الْعَالَمِيَّةَ تَشْهَدُ أَنَّ جَرَائِمَ السَّلْبِ وَالتَّهْبِ وَالْإِغْتِصَابِ، وَالْقَتْلِ وَالْإِنْتِحَارِ وَحَوَادِثِ الْعُدْوَانِ وَالْإِعْتِيَالِ، يَرْتَفِعُ مُعْدَلُهَا فِي لَيْلَةِ رَأْسِ السَّنَةِ الْمِيلَادِيَّةِ عَنْ مُعْدَلِهَا فِي أَيِّ يَوْمٍ آخَرَ مِنْ أَيَّامِ السَّنَةِ. إِنَّ إِبْلِيسَ يَعْرِفُ كَيْفَ يُدَبِّرُ الْمَكَايِدَ ضِدَّ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ. خَاصَّةً الَّذِينَ تَرَكَوْا بِجَهْلٍ أَمْرَ قِيَادَتِهِ لِسَبْدٍ لَا يَرْحَمُ. لَقَدْ بَدَأْنَا بَعْرَضَ صُورَةٍ قَائِمَةٍ مُوسِيقَى. وَلَكِنَّا نَعُودُ لِإِنْتِحَادِ عَنْ صُورَةٍ جَمِيلَةٍ مُشْرِقَةٍ، لِاحْتِفَالِ أَوْلَادِ اللَّهِ بِرَأْسِ السَّنَةِ الْمِيلَادِيَّةِ الْبَهِيجَةِ، لِمَنْ مَلَأَ الرَّبُّ قُلُوبَهُمْ مِنْ سَلَامِهِ وَوَضَعَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ رَجَاءً حَيًّا مُبَارَكًا فِي حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ سَعِيدَةٍ تَنْتَظِرُهُمْ.^٤

إِنَّ أَوْلَادَ اللَّهِ إِذْ يَجْتَمِعُونَ لَيْلَةَ رَأْسِ السَّنَةِ الْمِيلَادِيَّةِ يَعْرِفُونَ خَمْسَةَ مَبَادِيءٍ وَعَلَى أَسَاسِهَا يَحْتَفِلُونَ:

أولاً: يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَقْدِمُوا تَسْبِيحًا لِيَسُوعَ مِنْ أَحْبَبِهِمْ وَافْتِدَاهُمْ بِدَمِهِ.. إِنَّهُمْ أَحْبَاؤُهُ يَجْتَمِعُونَ فِي حَضْرَتِهِ لِيَتَمَنَعُوا بِالتَّسْبِيحِ لِجَلَالِهِ. وَهُوَ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ الَّذِي اشْتَرَاهُمْ بِدَمِ ثَمِينٍ كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلَا عَيْبٍ. مُرَدِّدِينَ الْمَزْمُورَ الْمَائَةَ وَالْخَمْسِينَ هَاتِفِينَ مِنْ أَعْمَاقِ قُلُوبِهِمْ: " هَلْلُويَا. سَبِّحُوا اللَّهَ فِي قَدْسِيهِ. سَبِّحُوهُ فِي فَلَكَ قَوِيَّتِهِ. سَبِّحُوهُ عَلَى قَوَاتِيهِ سَبِّحُوهُ حَسَبَ كَثْرَةِ عَظَمِيَّتِهِ. سَبِّحُوهُ بِصَوْتِ الصُّورِ سَبِّحُوهُ بِرَبَّابٍ وَعُودٍ. سَبِّحُوهُ بِدُفٍّ وَرَقْصٍ. سَبِّحُوهُ بِأُوتَارٍ وَمِزْمَارٍ. سَبِّحُوهُ بِصُنُوجِ النَّصُوبِ. سَبِّحُوهُ بِصُنُوجِ الْهَنَافِ. كُلُّ نَسَمَةٍ فَلتَسْبِّحِ الرَّبَّ. هَلْلُويَا"^٥.

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر المزامير ٦٥: ١ & ١١ ،

^٢ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ١: ٢٨ & ٣٢ ،

^٣ سفر الأمثال ٢٣: ٣٢ ، سفر الأمثال ٧: ٢٦ ،

^٤ إنجيل يوحنا ٨: ٤٤ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمني كورنثوس ٢: ١١ ،

^٥ رسالة بطرس الرسول الأولى ١: ١٩ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمني كورنثوس ٦: ٢٠ ، سفر المزامير ١٤٨: ١ - ٦

ثانياً: يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ مَدْبُونُونَ لِلرَّبِّ الَّذِي فَتَحَ عُبُونَهُمْ لِمَعْرِفَتِهِ.. إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِشَهْدِ لِنِعْمَةِ اللَّهِ. مِثْلَ ذَلِكَ الشَّابِّ الْمَذْكُورِ بِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا الْأَصْحَاحِ التَّاسِعِ الَّذِي فَتَحَ الرَّبُّ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أَبْصِرُ. وَيَطْلُبُ بَرَكَاتِ الرَّبِّ وَهُوَ يُودِّعُ عَامَاً وَيَسْتَقْبَلُ عَامَاً وَيَرْفَعُ صَلَاةَ كَصَلَاةِ يَعْيِصَ الَّتِي جَاءَتْ بِسَفَرِ أَخْبَارِ الْأَيَّامِ الْأُولِ. إِذْ دَعَا اللَّهُ طَالِبًا الْبَرَكَاتِ قَائِلًا: "لَيْتَكَ تَبَارَكُنِي وَتَوْسَعُ تَخَوُّمِي وَتَكُونَ يَدُكَ مَعِي وَتَحْفَظُنِي مِنَ الشَّرِّ حَتَّى لَا يُتَعَبَّنِي" وَيَنَادِي الْمُؤْمِنُونَ مَعَ بُولَسِ الرَّسُولِ بِقَلُوبِ فَيَاضَةً بِالشُّكْرِ وَيَنْطِقُونَ بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ: "لَأَنَّا كُنَّا نَحْنُ أَيْضًا قَبْلًا أَعْيَاءَ غَيْرِ طَائِعِينَ ضَالِّينَ مُسْتَعْبِدِينَ لِشَهَوَاتٍ وَلذَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. عَائِشِينَ فِي الخُبْثِ وَالْحَسَدِ. مَمَّقُوتِينَ مُبْغِضِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا. وَلَكِنْ حِينَ ظَهَرَ لَطْفُ مُخْلِصِنَا اللَّهُ وَإِحْسَانِيهِ. لَا بِأَعْمَالٍ فِي بَرٍّ عَمَلْنَاهَا نَحْنُ. بَلْ بِمَقْتَضَى رَحْمَتِهِ. خَلَصْنَا بِغُسلِ المِيَلَادِ الثَّانِي. وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ. الَّذِي سَكَبَهُ بَغْيِي عَلَيْنَا بِيسوعِ الْمَسِيحِ مُخْلِصِنَا. حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا بِنِعْمَتِهِ. نَصِيرُ وَرَثَةً. حَسَبَ رَجَاءِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ".^١

ثالثاً: يَذْكُرُونَ إِحْسَانَاتِ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ طَوَالَ الْعَامِ الْمُتَقَضِي.. حِينَ يَتَوَجَّدُ الْقَدِيسُونَ فِي مَحْضَرِ الرَّبِّ لَيْلَةَ رَأْسِ السَّنَةِ يَمْلِكُهُمْ وَقْتِذَاكَ إِحْسَاسٌ قَوِيٌّ صَادِقٌ بَعْدَ الْأَسْتِحْقَاقِ. وَيَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَهْلًا لِذَلِكَ الْفَيْضِ الْعَجِيبِ مِنْ نِعْمَتِهِ الْمُتَفَاضِلَةِ وَمَحَبَّتِهِ الَّتِي لَا يُعْبَرُ عَنْهَا. إِنَّهُمْ يَذْكُرُونَ إِحْسَانَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَهِيَ لَا تَحْصَى، فِي عَامِ مَضَى مِنْ أَعْمَارِهِمْ. إِنَّهَا مَطْبُوعَةٌ عَلَى صَفْحَاتِ قُلُوبِهِمْ. مَرْسُومَةٌ فِي أَذْهَانِهِمْ. لِذَلِكَ يَتَرْتَمُونَ بِأَنْشُودَةِ دَاوُدَ النَّبِيِّ فِي مَرْمُورِهِ قَائِلِينَ مَعَهُ: "بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ وَكُلِّ مَا فِي بَاطِنِي لِئُبَارِكَ اسْمُهُ الْقُدُسِ. بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ وَلَا تَنْسَى كُلَّ حَسَنَاتِهِ. الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكَ الَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكَ. الَّذِي يَهْدِي مِنَ الْخُفْرَةِ حَيَاتِكَ الَّذِي يُكَلِّمُ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّافَةِ. الَّذِي يُشْبِعُ بِالخَيْرِ عُمْرَكَ فَيَتَجَدَّدُ مِثْلَ النَّسْرِ شَبَابُكَ". وَيُرَدِّدُونَ قَوْلَ يَعْقُوبَ فِي صَلَاتِهِ الْمَذْكُورَةِ بِسَفَرِ التَّكْوِينِ الْأَصْحَاحِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِينَ: "صَغِيرٌ أَنَا عَنْ جَمِيعِ الطَّافِكِ وَجَمِيعِ الْأَمَانَةِ الَّتِي صَنَعْتَ إِلَى عَبْدِكَ".^٢

رابعاً: رُوحُ النَّتْقَلِ وَالشَّقَاعَةِ تَدْفَعُهُمْ لِيَرْفَعُوا قُلُوبَهُمْ مِنْ أَجْلِ الخُطَاةِ.. لَا يَنْسَى أَوْلَادُ اللَّهِ فِي احْتِفَالِهِمْ بِرَأْسِ السَّنَةِ أَنْ يَذْكُرُوا إِخْوَةَ لَهُمْ. أَعْمَى إِبْلِيسُ أَذْهَانَهُمْ فَانْقَادُوا لَهُ بِجَهْلٍ لِيَفْعَلُوا مَا لَا يَلِيقُ. إِنَّهُمْ يُصَلُّونَ صَلَاةَ نَحْمِيَا الْمَذْكُورَةَ بِسَفَرِ الْأَصْحَاحِ الْأُولِ إِذْ قَالَ: "إِيَّهَا الرَّبُّ إِلَهَ السَّمَاءِ. إِلَهَ الْعَظِيمِ الْمَخُوفِ الْحَافِظِ الْعَهْدِ وَالرَّحْمَةِ لِمُحِبِّيهِ وَحَافِظِي وَصَانِيَاهُ. لَيْتَكَ أَذْنُكَ مُصْغِيَةٌ وَعَيْنُكَ مُفْتَحِيْنٌ لِتَسْمَعَ صَلَاةَ عَبْدِكَ الَّذِي يُصَلِّي إِلَيْكَ نَهَارًا وَلَيْلًا وَيَعْتَرِفُ بِالخَطَايَا الَّتِي أَخْطَأْنَا بِهَا إِلَيْكَ. فَإِنِّي أَنَا وَبَيْتِي أَبِي قَدْ أَخْطَأْنَا. لَقَدْ أَفْسَدْنَا أَمَامَكَ وَلَمْ نَحْفَظِ الوَصَايَا. يَا سَيِّدُ لَيْتَكَ أَذْنُكَ مُصْغِيَةٌ إِلَى صَلَاةِ عَبْدِكَ وَصَلَاةِ عِبِيدِكَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ مَخَافَةَ اسْمِكَ".^٣

خامساً: يَضَعُونَ شِعَارًا مَلْهُمًا مُرْشِدًا لِعَامٍ قَادِمٍ.. وَمَا أَغْنَى الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ بِمَا يُلْهُمُ وَيُرْشِدُ. مِثَالًا لِذَلِكَ مَا كَتَبَهُ بُولَسُ الرَّسُولِ فِي رِسَالَتِهِ لِمُؤْمِنِي أفسُسَ إِذْ يَقُولُ: "فَانظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ لَا كَجُهَلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ. مُفْتَدِينَ الْوَقْتِ لِأَنَّ الْأَيَّامَ شَرِيبَةٌ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا تَكُونُوا أَعْيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ. وَلَا تَسْكُرُوا بِالخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلَاعَةُ بَلْ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ. مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ. مُتَرَنِّمِينَ وَمُرْتَلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ شَاكِرِينَ فِي كُلِّ حِينٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فِي اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعِ الْمَسِيحِ اللَّهِ وَالْأَبِّ". وَمَا جَاءَ بِرِسَالَةِ يَعْقُوبَ الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ: "هَلُمَّ الْآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ وَهُنَاكَ نَصْرَفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَنْجِرُ وَنَرْبِحُ. أَنْتُمْ الَّذِينَ لَا تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَدِ. لِأَنَّ مَا هِيَ حَيَاتِكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ قَلِيلٌ ثُمَّ يَضْمَحَلُّ عَوْضٌ أَنْ تَقُولُوا: إِنَّ شَاءَ الرَّبِّ وَعَشْنَا نَفْعُلُ هَذَا أَوْ ذَلِكَ. فَمَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنًا وَلَا يَعْمَلُ فَذَلِكَ خَطِيئَةٌ لَهُ".^٤

لَيْتَكَ أَخِي تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ كُلِّ مَا أَحْسَنْتَ بِهِ عَلَيَّ عَبْدِكَ. لَيْسَ فِي عَامِ مَضَى وَحَسَبُ. بَلْ مِنْ أَجْلِ كُلِّ إِحْسَانَاتِكَ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصَى أَوْ تَعُدَّ. فَأَنْتَ الَّذِي تَرَعَانِي مُنْذُ وُجُودِي إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَسْتَرَعَانِي. أَعْتَى إِلَهِي وَهَيْبِي قُوَّةً وَحِكْمَةً كَيْ أَعْمَلُ بِأَمَانَةٍ لِمَجْدِ اسْمِكَ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ رَبِّي يَسُوعَ فَادِيٍّ. مُتَكِلًا عَلَيَّ وَعَدِكَ الصَّادِقِ. يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِئُ الْعَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل يوحنا ٩: ٢٥ ، سفر أخبار الأيام الأول ٤: ١٠ ، رسالة بولس الرسول إلى تيطس ٣: ٣ - ٧ ، سفر التكوين ٣٢: ١٠ ،

^٢ سفر المزامير ١٠٣: ١ - ٥

^٣ سفر نحemia ١: ٥ - ١١

، رسالة يعقوب ٤: ١٣ - ١٧

^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني أفسس ٥: ١٥ - ١٩